

الفصل الثامن

العقل الإبداعي

١/ القاعدة النسبية الثلاثة للإبداع الفني: -

إفترضنا هذه القاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني لتأكيد ما قلناه عن دور العقل في الإبداع الفني، وذلك بإفترض عقل ثالث للإنسان وهو "العقل الإبداعي" الذي به أفترق الإنسان عن الكائنات الأخرى.

أولاً: - الإنسان عبارة عن الجسم وعقل ونفس: -

(أ) عن طريق الجسم له ثلاث وسائل إدراكية: - ١/ المنظور

بالعين والمسموع بالالذن "فيزيائي"

٢/ الماموس والمحسوس "ميكانيكي"

٣/ المتذوق بالفم والمشموم بالأنف "كيميائي"

(ب) عن طريق النفس: -

١/ التفكير الإبتكاري "عقل واعي"

٢/ المعالجة الذهنية "عقل باطني"

٣/ الإبداع الفني "عقل باطني"

(ج) عن طريق النفس:

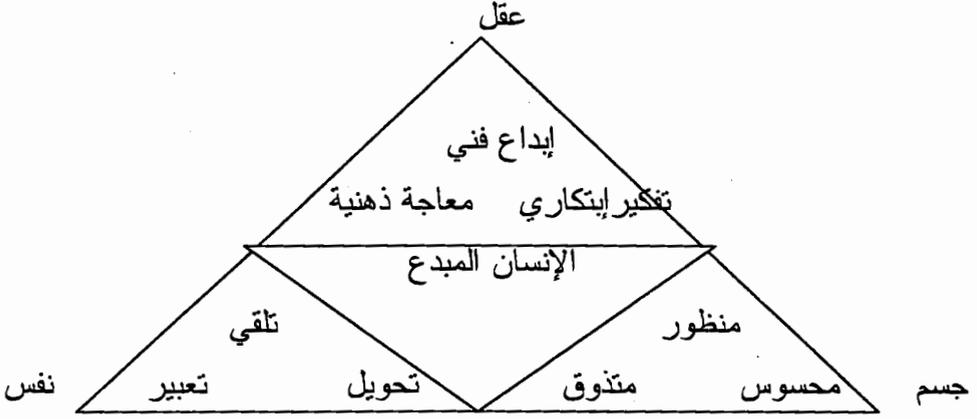
١/ دافعية التعبير

٢/ إمكانية التحويل

٣/ القدرة علي التلقي والتذوق.

شكل رقم (٢٦)

مثلث الإنساني المبدع " جسم - عقل - نفس "



ثانيا: بناء العمل الفني:

يتكون من وجود ١/ عناصر البناء..

٢/ بواسطة وسائط التعبير

٣/ لإنتاج قيم فنية

(١) عناصر البناء لها ثلاثة وحدات: ١/ الشكل الفني للموضوع الإبداعي

٢/ وحدة العمل التكوينية ٣/ الخامات المستخدمة والوسائل.

(٢) وسائط التعبير: ١/ قواعد وقوانين مثل المنظور.. ٢/ المهارة الأدائية..

٣/ وسائط مادية ومعنوية.

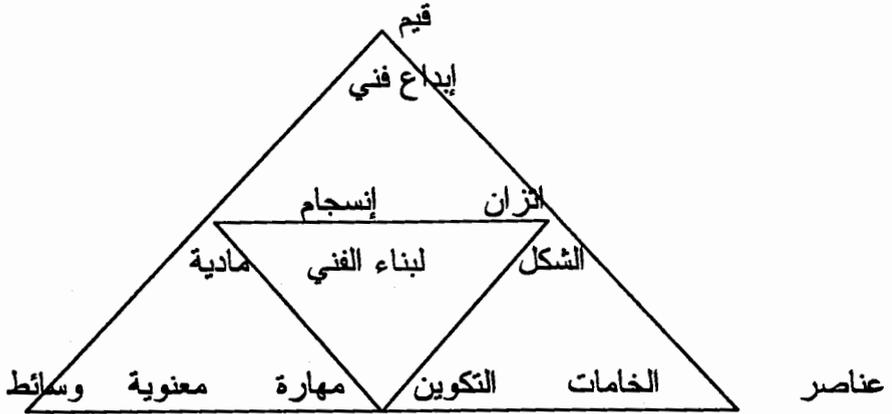
(٢) القيم الفنية: ١/ الاتزان.. ٢/ الإنسجام.. ٣/ الإيقاع (١)

(١). النظر الشكل (٢٦) مثلث الإنسان المبدع (٢٧) مثلث البناء الفني التربوية - جتمعة قطر

- الإبتكار والافعية ص ٢٢٣ - ٢٢٥

شكل رقم (٢٧)

مثلث البناء الفني " عناصر، وسائل، قيم "



ثالثاً: الفنون تنقسم لثلاث مجموعات لكل منها ثلاث أقسام:

- (١) فن قولي: ١/ الشعر والنثر "لفظي" ٢٠٠/ الخطابية والحكاية "معنوية" (١) ٣/ الدراما والسينما "حركي"
- (٢) فن نغمي: ١/ الموسيقي "نغم سمعي" ٢٠٠/ التصوير "نغم مرئي" ٣٠٠/ الرقص "نغم حركي"
- (٣) فن تشكيلي: ١/ نحت "ظلال وأضواء" ٢٠٠/ عمارة "كتلة وفراغ خارجي وداخلي" ٣٠٠/ تصميم "إنسياب حركي"

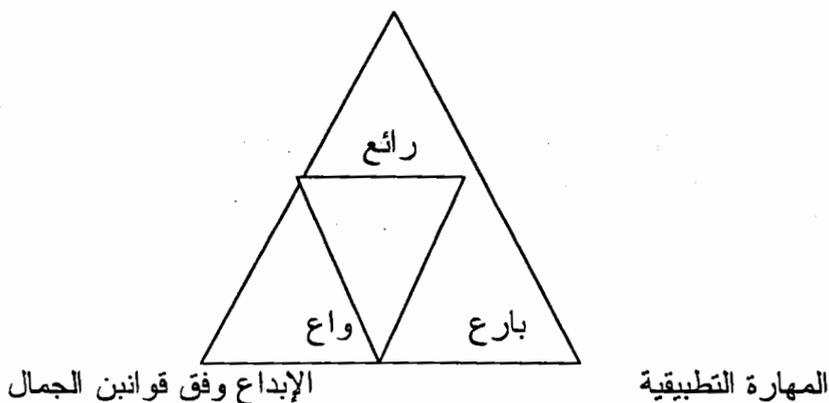
(١). لم نذكر " القصة " فالقصة من قصي الأثر، وهو تتبع وسرد أشياء واقعية وحقيقية ليس فيه إضافة أو خيال، فقصص القران الكريم هي وحدهما القصص لأنها حقيقية، أما ما يقال عنها " قصة " فنادرًا ما تكون حقيقية ولكننا لا نستطيع التعميم فلذا اثرنا إطلاقاً إسم حكاية علي القصة.

ولا يتم فن الإبداع ثالث الفن من: ١/ فنان مبدع إبداع إبداعاته..٢/ متلقي يتلقي تلك الإبداعات..٣/ بينهما عمل فني أبدعة مبدع ويتذوقه متلقي متذوق.

وعلي ذلك يكون الفن الإبداعي بمجموعاته الثلاث نتاج فنان ووسيط فني داخل المساحة الإبداعية يتلقاه متلقي من خلال المسافة الفكرية^(١) وكل إنسان إما مبدع أو متذوق لأنه يمتلك عقلاً فنياً^(٢)

رابعاً: يكتمل العمل الإبداعي من خلال مفاهيم ثلاثة: ١/ المهارة التطبيقية " فن بارع ". ٢/ الإبداع وفق قوانين الجمال " فن واعى " ... ٣/ الروعة الجمالية والتأملية " فن رائع ".

الروعة الجمالية والتأملية



شكل رقم (٢٨).. مفاهيم الفن الثلاثة

ولتكوين فن " بارع واع رائع " علي الفنان أن يسلك ثلاثة طرق:

١/ ما يخص بالفرد المتلقي بما لديه من خبرات

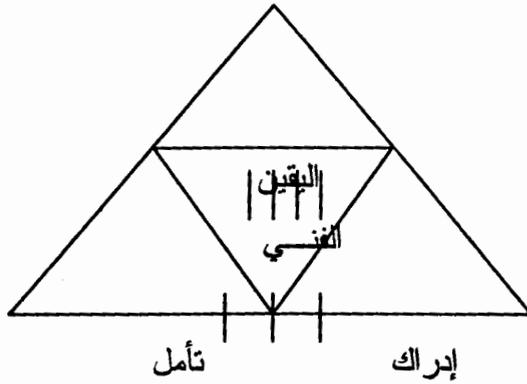
٢/ ما يختص بالمادة المعروضة

(١). أرجع للفصل الرابع " العملية الإبداعية " وهامش رقم ٢١—٢٢

(٢). انظر الفصل الثامن - العقل الإبداعي وخصائصه

٣/ التعرف علي العمل الفني وبيئته^(١)

حتى يصل إلي مرحلة اليقين من خلال إدراك وتأمل.



شكل رقم (٢٩) .. مراحل اليقين الفني

خامسا: لتحويل الإدراك الحسي إلي إدراك جمالي تتساقب الموضوعات علي ثلاث مراحل من خلال إدراكات ثلاث:—

١/ إدراك عقلي ذاتي وحس موضوعي.

٢/ إدراك عقلي باطني

٣/ إدراك جمالي.

وعليه يجب أن يكون لكل هذه الإدراكات قوة عقلية مدركة:—

١/ يكون الإدراك الحسي من خلال عقل ظاهري

٢/ أما الإدراك الباطني فمن خلال عقلي باطني

٣/ فلا بد إذن من وجود عقل تحتاج لتدريب وتأهيل واكتساب، وهي مكونه من

ثلاثة مجموعات فيكل مجموعة ثلاثة قدرات:—

(١). ارجع الفصل الرابع، العملية الإبداعية.

أولاً: التأفكر والشهود والنظر .

ثانياً: التدبر والتأويل والتذكر

ثالثاً: التفقه والحكمة والإبصار

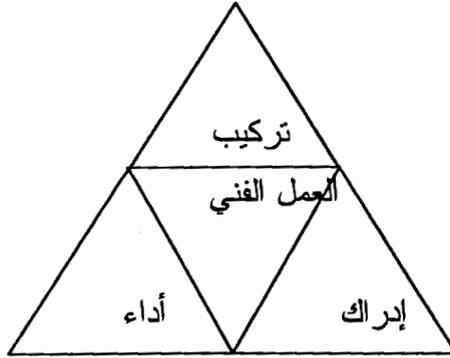
ويمكن تخصيص عقل لكل مجموعة للأولي " عقل ظاهري " في التفكير والشهود والنظر وللثانية " عقل باطني " في التدبر والسويل والتذكر، وللثالثة " عقل إبداعي " في التفقه والحكمة والإبصار^(١)

ومكن لنا مفرنة القدرات العقلية بمكونات العمل الفني:

١/ للمجموعة الأولى الإدراك Perception

٢/ للمجموعة الثانية الأداء performance

٣/ للمجموعة الثالثة التركيب structure



(١). ارجع لإدراك الجمالي والقدرة الإبداعية، الفصل السادس.

سادساً: للتفكير الإنساني ثلاثة مكونات:

(١) خطوات التفكير: ١/ الإحساس بالظاهر..٢/ الوعي والتعرف..٣/ إكتشاف الحكمة الكامنة.

(٢) أشكال التفكير: ١/ التفكير الشامل..٢/ التفكير الواقعي..٣/ التفكير التجريدي

(٣) أنواع التفكير: ١/ تفكير منطقي..٢/ تفكير تجريبي. ٣/ تفكير جمالي^(١).

هذه المكونات تحول الإحساس العادي إلي إحساس جمالي وتقوي ملكات العقل، وملكات العقل كثيرة يمكن أن تتدرج ثلاث طوائف وهي:

١. ملكة الإرادة: وتتدرج تحتها ملكة "الإدراك والعاطفة والإحساس".

٢. ملكة الذاكرة: وتتدرج تحتها ملكة "الحفظ والخيال والاستدعاء".

٣. ملكة الاستنتاج: وتتدرج تحتها ملكة التعبير والتفوق والذكاء^(٢).

وقياساً على مبدأنا الثلاثي نجعل لكل طائفة عقل يخصه:-

١. العقل الظاهري لملكة الإرادة.

٢. العقل الباطني لملكة الذاكرة.

٣. العقل الإبداعي لملكة الاستنتاج.

وهذه الملكات تنتج ثلاثة أفكار:

أ. أفكار منطبعة من الحواس يوازي العقل الظاهري.

ب. أفكار مكونة من الذاكرة يوازي العقل الباطني.

ت. أفكار تأملية عقلية توازي العقل الإبداعي.

سابعاً: الملكات البشرية عند مندلسون:-

١. إرادة... ٢. عقل... ٣. وجدان.

(١). ارجع للشكل رقم ١٢.

(٢). ارجع للشكل ١٧ ملكات العقل الثلاثية.

وملكات النفس عند كانط:-

١. معرفة... ٢. نزوع... ٣. شعور.

والتذوق عند كانط:

١. الذوق الذاتي.. ٢. الذوق الكلي.. ٣. الحكم الشعوري.

والمعرفة البشرية عند أرسطو:

١. معارف نظرية.. ٢. معارف عملية.. ٣. معارف فنية.

والمعرفة عند جون لوك:

١. حسية.. ٢. وجدانية.. ٣. تأملية.

ومكونات العمل الفنى عند باريت:

١. إدراك.. ٢. أداء.. ٣. تركيب.

كما نجد أن المعرفة البشرية عند باركلي تنتج عن ثلاثة أفكار:

١. أفكار منطقية من الحواس.

٢. أفكار مكونة من الذاكرة.

٣. أفكار تأملية عقلية^(١).

هذا الثلاث الموجود أمامنا في الصفحات السابقة يؤكد لنا أن للعقل الإنسانى ثلاثة مجالات يعمل من خلالها، فإذا ما طابقنا الثلاث على كل عمل للعقول الثلاثة نجدها متطابقة متما:

١. الإرادة عند "مندلسون"، والمعرفة والذوق الذاتى عند "كانط"، والمعرفة النظرية عند "أرسطو"، والأداء عند "باريت"، والأفكار المتكونة من الذاكرة عند "باركلي". كلها تنطبق على العقل الظاهرى.

٢. أما العقل عند "مندلسون"، والنزوع والذوق الكلى عند "كانط"، والأداء عند "باريت"، والأفكار المتكونة من الذاكرة عند "باركلي" تنطبق أيضاً على العقل الباطنى.

(١). ارجع لتعريف العقل ماهيته وقدراته.

٣. أما إذا أخذنا الوجدان عند "مندلسون"، والشعور والحكم الشعوري عند "كانط"، والمعارف الفنية عند "أرسطو"، والمعرفة التأملية عند "جون لوك"، والتركيب عند "باريت"، والأفكار التأملية العقلية عند "باركلي" لا نجد لها مجالاً في العقلين السابقين إلا أنها تنطبق على ما إفترضناه من عقل ثالث وهو "العقل الإبداعي". وهي تنطبق أيضاً مع القدرات العقلية وملكاتهما إذ نجد أن:

١. التفكير والإرادة وقوة التمييز والإحساس عند العقل الظاهري.
 ٢. والتذكر والذاكرة وقوة الاستنباط والتخيل عند العقل الباطني.
 ٣. والتفقه والاستنتاج وقوة الخلق والإبداع عند العقل الإبداعي.
- وللعقل مفاهيم معرفية ومعرفة مفهومة وبصيرة واعية تمكنه من تحويل الذاكرة والخيال والحلم إلى قوى إبداعية.

ثامناً: أما الذاكرة العقلية فهي تحوى مجموعات لكل مجموعة ثلاثة مناحي وهي:

١. خيال - حفظ - تذكر. ٢. خاطرة - ومضة - إشارة. ٣. حدس - فطرة - بصيرة.
٤. حكم - رؤيا - تأمل. ٥. فكر - فهم - وعى. ٦. إدراك - علم - حكم^(١)

والذاكرة من أهم قطاعاتالعقل فمن خلاله إستطاع الإنسان أن يربط الماضي بالحاضر، ويستذكر الأشياء ويستدعى المعانى والصور فتتداعى المعانى والصور فتتداعى من الذاكرة فتتحول هذه المعانى والصور إلى صور إبداعية ومعانى جمالية.

تاسعاً: للإنسان عقل كما للحيوان عقل إلا أنه يختلف عنه ويفترق منه:

أجهزة المعرفة عند الإنسان هي:

١. إستقبال. ٢. إستجابة. ٣. رجع.

في حين أنها عند الحيوان:

١. إستقبال. ٢. إستجابة. ٣. رد فعل.

(١). انظر الشكل ١٤ الذاكرة العقلية.

وعقل الإنسان مكون من عقل ظاهري، وباطني، وإبداعي نجد المقابل له عند الحيوان عقل ظاهري، وباطني، وغريزي^(١).

ومن خلال هذه القاعدة الثلاثية النسبية لإبداع الفنى نستنتج أن لإنسان ثلاثة عقول:

١. عقل ظاهري من خلال إدراك حسي. ٢. عقل باطني من خلال إدراك حدسي. ٣. عقل إبداعي من خلال إدراك جمالي.

وهكذا يمتلك الإنسان العقل المبدع من خلال تضافر القوى العقلية خلال إرادة وفكرة فتتكون لديه قدرة إدراكية.

ونجد أيضاً أن العقل الباطني والذي يدرك حدسيًا من خلال ذاكرة مدبرة تتكون لديه قدرة تدوقية.

ثم يأتي الإدراك الجمالي من خلال العقل الإبداعي الذى له قدرة إبداعية فتستنتج إستنتاجات متفقة في سيطرته على العمل الفنى من خلال تعديل وتقويم.

وهكذا تتوحد القوى العقلية الثلاثة لإبراز ما للإنسان من قدرة إبداعية تمكنه من إبداع إبداعاته. فتالوث الإبداع الفنى تصاعدي كما بينا ونجد أن تالوث الوثنية تنازلي^(٢) وبهذا يكون الإبداع الفنى ترقياً وسموًا.

(١). أنظر الفصل الثامن "العقل الإنسانى والعقل الحيوانى".

(٢). إذ نجد أن الوثنية تحورت عند الوجدانية من الوجدانية إلى ثنوية إلى تالوث، حيث نجد التالوث المصرى يتمثل في "أمون- رع- أتوم" وتالوث أوزيرى في "أوزير وإيزيس وحورس" وتالوث منف في "بتاح سخمة ونفرتم" وتالوث "مينكاورع" في مقابل التالوث الصينى في "تاين ونشانج والشمس" وتالوث الرافدين في "أنكى وأثليل وترقال" وتالوث نبته "أمون وموت وخنسو" وتالوث مروى في "خنوم وستايس وعنقت" وتالوث اليونان في "زيوس وفينوس وأبوللو" وتالوث النصرانية في "الله والابن وروح القدس" وتالوث قریش في "اللات والعزى ومناف". حيث يقول تعالى فى سورة النجم (١٩: ٢٠) ﴿أفرانیتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ إرجع لكتاب أثر العقيدة فى منهج الفن الإسلامى ص١٩٧: ١٩٨ (الدين والإبداع).

٢. العقل الإبداعي وخصائصه

من خلال الفقرة السابقة لهذا الفصل^(١) اتضح لنا أن هناك عقلاً ثالثاً يتطابق مع المعارف الإنسانية والقدرات العقلية، فكان لابد من البحث عن قوة ثالثة للعقل تحوى القدرات العقلية والتي لم يحويها العقل النظرى والعقل الباطنى. فإن كان لإنسان عقلاً، عقل واع وآخر غير واع^(٢) فالأول يباشر فهم الحياة والثانى مختم مترسب، ويستيقظ عند الإثارة لكى يمد الإنسان، الفنان بالعطاء الفنى، ويجلب للمتلقي الإحساس الجمالى. فإن كان كذلك فكيف يستطيع ذلك العقل "اللاواعى" أن يمد العقل الواعى بكل إبداعاته، أم هل تتنابه لحظات واعية عند الإثارة والاستدعاء ثم يرجع إلى حالته اللاواعية مرة ثانية؟ أم ماذا؟.

مثل هذه التساؤلات تظهر لكثير من المفكرين والفلاسفة والفنانين، فمثلاً نجد أن د. على شلق يتساءل بقوله: "هذا العالم ندركه بالعقل المباشر ويحتضننا عقل آخر نابع من قراراتنا لا نتضح لنا وسائله فإذا ما سمينا عقلنا المباشر وعياً فهل يصح أن نسمى الآخر اللاواعى؟"^(٣)

(١). ارجع للقاعدة النسبية الثلاثية لإبداع الفنى.

(٢). أوردنا كلمة "اللاوعى" كما هى مع اعتراضنا على هذه التسمية فهذا العقل واعى ووعيه داخلى كما سيتضح.

(٣). على شلق: الفن والجمال، بيروت، ص٤٧.

ويرد على نفسه قائلاً: "فى نظرى أن هناك ثلاثة عقول: عقلاً واعياً، وعقلاً لا واعياً، وعقلاً ثالثاً يربط بينهما، وبذلك ندرك الجميل الذى به نستوحى ومنه ندرك صورة أعلى للجمال"^(١). وعلى هذا التساؤل يقول د. على عبد المعطى: تحدث أرسطو منذ القدم عن عقل نظرى وعقل عملى، وتحدث "كانط" أيضاً عن عقل نظرى "تقد العقل النظرى الخالص، وآخر عملى "تقد العقل العملى الخالص" فألى أى منهما يمكن أن ننسب الإبداع الفنى؟ هل يعود إلى فكر نظرى أم فكر عملى؟ أم لأبد أن نضع إلى جوارها عقلاً ثالثاً يمكن أن نسميه "بالعقل الفنى"، فإذا كان الأمر كذلك فما هو طبيعة العقل الفنى؟ وما هو إختصاصاته، وكيف تميزه من العقل العملى والعقل النظرى؟

ثم أيمكن لنا أن نقرر أن هذا العقل الفنى ينقسم إلى نطاقات يتوافق كل نطاق مهنى فى دائرة فنية معينة، وبينما يتميز فنان بنطاق عقلى أكبر للموسيقى ويكون موسيقياً ويتميز آخر بنطاق عقلى فنى أكبر للشعر فيبدع فى دائرة الشعر... أم ماذا بالضبط^(٢).

وتقول "باسمة الكيال" فى هذا المضمار: "أما من حيث جهة علم النفس الحديث هذا فقد وقف على منطقة جديدة فى الإنسان أطلق عليها وصف العقل "فوق الواقعى" على نقيض العقل الباطن أو غير الواعى الذى يمثل التيار المغمورة لطبيعتنا بلوغها"^(٣). وتقرر قائلة: نعى بالعقل الجسدى أى العقل المادى الذى يوجد داخل رأس الكائن الحى، والذى يعرف بالدماع، أما ما نعينه بالعقل

(١). نفس المرجع السلابق ص ٦٥. وقد أوردنا هذا التساؤل نفسه فى نهاية الباب الثانى ص ١٠٨.

(٢). على عبد المعطى: مشكلة الإبداع الفنى، الإسكندرية، ص ١٨٠.

(٣). باسمة الكيال: فلسفة العقول، أصل الإنسان وسر الوجود، منشورات مكتبة الهلال، بيروت ص ٣١.

الإبداعي، فهي القوى الإبداعية الغير منظورة والمتمثلة بما يعرف بالنفس أو الروح^(١).

كما نجد في المعجم الأدبي في تفسير لإبداع "إن النظر العقلي مرتبط في تكوينه وتطوره بالعمل التطبيقي. كذلك العقل التطبيقي مرتبط أيضاً بالإبداع العقلي النظري^(٢). ولكننا نتساءل ما هو ذلك الرباط الذي يربط العقل النظري بالتطبيقي ويربطهما بالإبداع؟

هذا هو السؤال الذي نبحت له عن إجابة. وهكذا نجد بعض الإرهاصات للعقل الإبداعي أو للعقل الفنى أو العقل الثالث، لهذا إفترضنا وجود "العقل الإبداعي" من خلال بحثنا عن العقل ودوره فى الإبداع^(٣) وقدرته فى اكتساب القيم الجمالية^(٤). وما إفترضناه للقاعدة النسبية الثلاثية لإبداع الفنى ومقارنته بقوى العقل الثلاثية، حتى وإن كان ما إفترضناه من عقل إبداعي غير قائم ولم نثبت له أدلة لإبرازه كوحدة عقلية قائمة بذاتها إلا أن قواه موجودة من خلال قدرات العقل نفسه وقواه الإبداعية فى إحداثه للإبداع الفنى والإرتباط الموجود بين العقليين النظري والعملى وكذلك فى تطابق القدرات العقلية مع القدرات الإنسانية حيث يبرز دور العقل فى الإبداع الفنى من خلال إدراك جمالى وقدره إبداعية، تمكنه من خوض التجربة الجمالية وإبداع تلك الإبداعات. ينبى أن للإنسان ثلاثة عقول: "ظاهرى وباطنى وإبداعي" وحتى ذلك العقل الإبداعي يحوى: "عقل فنى وعقل إبداعي وجمالى" وحتى ذلك العقل الإبداعي يحوى "عقل فنى، وعقل إبداعي وجمالى" تتصافر هذه العقول لتكوين العقل الإنسانى المبدع^(٥).

(١). المرجع السابق نفسه ص ١٦٠.

(٢). المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت ص ١٨٢.

(٣). راجع الفصل الخامس، الوعى الإنسانى والإبداع الفنى.

(٤). راجع الفصل السادس، الإدراك الجمالى والقدرة الإبداعية.

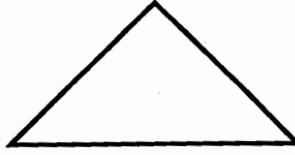
(٥). أنظر الشكل ٣١ ثالوث العقل الإبداعي.

(خاص)

عقل جمالى

(مبدع)

عقل إبداعى



(عام)

عقل فنى

شكل رقم (٣١)

ثالوث العقل الإبداعى

العقل الفنى هو عقل موجود فى كل البشر، وهو فوقه، وهو ما يميزه عن باقى الكائنات وأول درجات إبداع "العملى والفنى"، وهذا مفطور فى الإنسان قابل للنمو والترقى والتطور والسمو.

أما العقل الإبداعى فهو عقل فنى متطور له خاصية الإبداع ويحوى الملكات الفنية ويمتلك الأدوات الفنية التى من خلاله يبدا إبداعاته التخصصية لما فطر عليه من قدرة فنية فى العقل الفنى.

أما العقل الجمالى فهو عقل إبداعى متطور عن العقل الإبداعى يمتلك إحساسات جمالية ويكون موجوداً لدى الفنان المبدع، ويزداد نشاطاً عند الأداء الإبداعى "النظرى والعملى" وقد ينشط لدى المتذوقين أثناء تذوقهم الجمال الفنى وهذا العقل خاص غير ملازم لإنسان كالعقل الفنى أو الإبداعى وذلك أثناء اللحظات الجمالية لدى الفنان والمتذوق والفيلسوف^(١). فى الإنسان قوى "جسدية" كامنة يكتشفها بالممارسة وينمىها بالتدريب، يصدق ذلك لمن مارس رياضة "اليوجا أو الكونفو" فهذه قوى نفسية وجسمية وعقلية كامنة خرجت من كمونها إلى حيز الوجود بالممارسة وتدريب خاص. وعليه فلا بد إذن من وجود قوى

(١). وقد تكون فى لحظات التجلى والصفاء الروحى لمن يتعبد فى خشوع وخشية بحيث يصل إلى شفافية عقلية وروحية ووصل درجة عليا من اليقين وأصبحت نفسه جمالية.

عقلية كامنة متطورة في الإنسان، وهذه القوة الكامنة نجدتها في العقل الفني والذي يحوى الخصائص الفنية القابلة للإبداع فيكون الإنسان شاعرًا أو موسيقياً أو أديبًا أو نحّاتًا أو مهندسًا على حسب الخصائص الفنية الكامنة في ذلك العقل الفني. وما نعنيه هنا هو العقل الإبداعي، فالعقل الفني عام وموجود في كل إنسان وهو كامن فيه، أما العقل الجمالي فهو خاص ويوجد على فترات أما العقل الإبداعي فهو العقل الملازم الفنان والذي له دوره إلهام في الإبداع الفني والإحساس الجمالي.

وقد نجد من يقسم العقول إلى أقسام ويعطى لكل فعل خاص به، ولكنها هي أفعال العقل وليست خصائصه ومميزاته. إذ نجد أن "على شلق" يقسم العقول إلى عدة عقول حيث يقول: "يمكننا أن نجري مع الذين قسموا العقل إلى عدة عقول أهمها: "العقل العلمى، والعقل المنطقى، والعقل السيكلوجي، والعقل الفني، والعقل الرياضى، والعقل الصوفى"^(١). ثم يعطى لكل عقل عمله حتى يأتى لتفسير العقل الفني بقوله: العقل الفني يعنى بإكتشاف النسب بين الأشكال، وتقدير الجمال والنشاذ، وعلاقة ذلك بالعقل الباطن، والعقل المباشر، ومقدار الذوق والحس والإعجاب والإسمتزاز، وإنتلاقه من العاطفة والخيال والأحلام"^(٢). ونوافق د. على شلق فيما ذهب إليه في تفسيره للعقل الفني، ولكننا نعترض على تقسيمه للعقل بهذا الشكل وإعطاء كل فعل خاص، فإن صح هذا التقسيم كان لابد لإعطاء كل فعل إنسانى عقل يسمى به وهذا غير ممكن.

ونرى أن هذه التقسيمات لهذه العقول تتدرج كلها تحت عقل واحد يضمهم، وهو ما نعنيه بالعقل الإبداعي له خصائصه ودوره في العمل الإبداعي. وتقسيما للعقل التقسيمات الثلاث ليس تقسيما للعقل بل هو تجميع له، وذلك بجمع الحركات العقلية تحت قوة واحدة وهى القدرة العقلية في العقل الإبداعي. وبمعنى إننا

(١). على شلق، العقل في مجرى التاريخ، دار المدى، بيروت ص ١٧

(٢). نفس المرجع السابق، ص ١٨.

بالتقسيم الثلاثى للعقل تمكنا من حصر كل قوى العقل وقدرات الإنسان تحت دائرة القوة العقلية إذن هذا التقسيم الثلاثى ليس تفريق بل هو تجميع لقوى العقل. فالعقل الإبداعى على حسب ما نرى، عبارة عن قوى إبداعية حالة فى العقل تعطى للعقل المباشر قوى إدراكية وتنشيط قوى الذاكرة للعقل الباطنى. وللعقل قوى ذهنية تحل فى المخ، والمخ يسيطر على الجسد، والجسد خاضع للعقل عن طريق المخ، والمخ وعاء يحوى قدرات العقل، والعقل شيء قائم بذاته يحل فى النفس، والنفس تستخدم القوى العقلية، وهكذا نجد الترداد داخل مثلث الإنسان المكون من "نفس وجسد وعقل".

والعقل الإبداعى الذى إفترضناه هو الإجابة على السؤال الفلسفى الذى طرحه "كانط" من خلال فلسفته النقدية إذ يقول "زكريا إبراهيم": "إذا كنا قد حاولنا فى مبحث العقل النظرى إن نجيب على السؤال الكانتى، ما الذى يمكن أن أعرفه؟ فيكون علينا فى مبحث العقل العملى أن نجيب على سؤال آخر هو، ما الذى يجب أن أعمله؟ ولكن كانط سيحاول عن طريق الإجابة على هذا السؤال الثالث القائل ما الذى يمكننى أن أمله؟^(١).

يمكننا الإجابة على هذا التساؤل الكانتى، فإن كل ما أعرفه من العقل النظرى "الظاهرى"، وما أعمله يكون من خلال العقل العملى "الباطنى"، فيكون ما أمله من خلال العقل "الإبداعى". فالعقل هو الذى يعرف من خلال توظيفه للعقل الظاهرى ويعمل أيضاً من خلال إستدعاء ما أختزن فى العقل الباطنى من خلال إستدعاء ما أختزن فى العقل الباطنى من خلال الاستدكار وتحويل الخيالات إلى تصورات ومن ثم يأمل فيما سيكون، فإن كان العقل الباطنى معبراً عن الماضى والعقل الظاهرى يعبر عن الحاضر، فيكون العقل الإبداعى هو استشراق المستقبل من خلال ماضى وحاضر يتجدد.

(١). زكريا إبراهيم: "كانط وفلسفته النقدية"، مكتبة مصر، ١٩٧٢.

إن لم يكن العقل الإبداعي قائم فخصائصه قائمة إذ أنه يحوى خصائص العقليين "الظاهرى والباطنى" وهو المشرف عليها فى توجيه للعقل الظاهرى فى الإدراك والتحليل والتأليف، والسيطرة على العقل الباطنى فى الإستدعاء والتعليل من خلال التذكر.

العقل الظاهرى هو العقل الحسى المباشر والمستيقظ وهو ما يطلق عليه بالعقل الواعى والمدرك والشعورى والنظرى والخارجى والمعيارى والإرادى والمستتير وخبرته مكتسبة من الخارج.

أما العقل الباطنى فهو ما يطلق عليه بالعقل العملي والداخلي والملازم، ذو خبرة داخلية، كما يطلق عليه بالعقل اللاواعى، والجانب الحالك من العقل. وهى تسمية غير دقيقة، إذ يجوز لنا إطلاق اللاشعور أو اللاإرادى إلا إننا نجانب الحقيقة إن أطلقنا عليه باللاواعى. فقد يعمل العقل الباطنى لا شعورًا من خلال الشعور والمختزنة والمستورة. أما اللاواعى فهو فى اعتقادى إفتقاد للوعى وهذا الشرط لا ينطبق على العقل الباطنى لأنه حاوى للوعى نفسه.

وفى هذا المضمار يقول أبو الفيض عن العقل الباطنى "هو الوعى كله خلافاً لما سماه باللاوعي وهو النقطة المشعة التى يتمركز فى بؤرة الذات الإنسانية ويوحى للعقل والإرادة بما يفعلان صوابًا أو خطأ"^(١).

وهذا العقل هو الذى يختزن الصور والمعانى وسائر المدركات وينظمها لإخراجها عند إستدعائها، والإستدعاء يأتى للشيء المحفوظ من خلال خبرة مكتسبة فلا يمكن إستدعاء أشياء غير موجودة أصلاً، بل مرتبة ترتيبًا متسقًا ومتحفزة للخروج الفورى أثناء الإستدعاء، فمثلًا إذا سأل سائل ما هى عاصمة فرنسا؟ الإجابة الفورية "باريس" لمن كانتن له سابق معرفة بفرنسا وباريس مع العلم أن المجيب هذا لم يكن يفكر فى فرنسا ولا باريس، ولكن بعد السؤال قفزت

(١). أبو الفيض، تهافت الفلاسفة، دار النهضة، القاهرة، ص ٤٠٥.

الإجابة من خلال الاستدعاء وتداعى المعانى، وذلك من خلال العقل الباطنى وما إختزنته عن فرنسا وباريس.

أما إذا كان السؤال عن عاصمة "مدغشقر" ولا يعرف أحد من المجيبين عن مدغشقر فلن يجيب أحد لأن أحدًا منهم لم يختزن شيئًا عنها ففاقد الشيء لا يعطى كما يقال. إذن الاستدعاء يأتى بالمعانى والصور المستودعة من قبل فى العقل الباطنى، فقد أختزنت هذه المعانى والصور شعوريًا، وخرجت بالاستدعاء إراديًا فتداعت من مكانها.

وكذلك العقل الفطرى كامن فى العقل الباطن هذا، فيكون هذا العقل الباطنى كالوعاء فى حفظ المكتسبات وترتيبها لحين إستدعائها ومنيت للعقل الفطرى حتى يصبح عقلًا فنيًا. إذن العقل الباطنى هو عقل واع ووعيه وعى داخلى ومستبطن ومستور، وبهذا يكون العقل الباطنى حاوى للوعى الإنسانى نفسه والشعور الذاتى، ومودع للغرائز والمدركات.

والعقل الباطنى حاوى للعواطف الإنسانية فى مقابل الإرادة عند العقل الظاهرى حتى تكون العواطف الإنسانية منضبطة وهى المسافة الواعية بين الإنسان والحيوان، والعقل الباطن قدرة إستدلالية وحاسة خلقية نامية^(١).

وإذا ما قارنا بين العقلين الظاهرى والباطنى نجد أن هناك تناقضًا ظاهريًا، إلا أنهما فى الحقيقة متكاملان يكمل أحدهما الآخر ويتم تكاملهما بوجود العقل الإبداعى الذى به خصائصهما^(٢). وعندما نقارن بين خصائص العقلين "الظاهرى

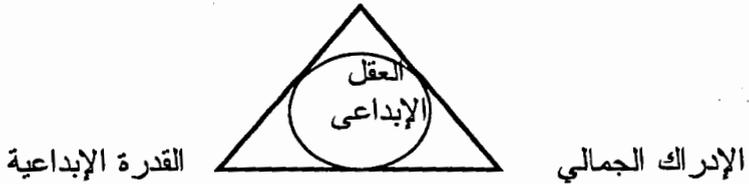
(١). فلذا ما جزم إيمان تاروما "عاطفيًا، وأمر بأن يأتى بأفعال منافية للأخلاق كالعرى مثلًا أو ما يشابه ذلك، نجد أن المزمع هذا يرفض لا شعوريًا أن يتجيب لهذه الأفعال اللاأخلاقية.

(٢). مقارنة بين العقل الظاهرى والباطنى: - الظاهرى: - واعى، شعورى، إرادى، مستنير، معالج، منطوق، عسى، عقل منضبط، حارحى، إدراكى. الباطنى: - غير واعى، لا شعورى، لا إرادى، مظلم، منظم، عسى، حدى، عقل بالقوة، داخلى، إستدعائى. فإن كان العقل الظاهرى عقل مكتسب، والعقل الباطنى عقلًا بالقوة فيكون العقل الإبداعى عقلًا فطريًا.

والباطنى^(١) نجد أن هناك خصائص عقلية أخرى لم تتدرج تحت خصائص العقلين، ولذا لا بد من وجود عقل ثالث يحوى تلك الخصائص التى لم يحوها العقلين، بل هناك خصائص لا نستطيع إدراجها كخصيصة عقلية لأحد العقلين لكننا يمكن درجها تحت خصيصة العقل الثالث.

فالعقل الإبداعى يجمع بين تلك الخصائص ويولد خصائص تتولد عنهما فمثلاً $2+1=3$. الثلاثة ليست الواحد ولا الإثنين، إلا أن الرقم ثلاثة متولد عنها وخارجة منها وحاصل جمعها، ولكنه ليس هو هما بل هو شيء "ثالث" متولد ينتج عنها ويحويها ويحتوى على خصائصها ويولد خصائص متولدة. إذن للعقل الإبداعى خصائص لا توجد فى العقلين، ومن تلك الخصائص القدرة ابداعية والإدراك الجمالى واكتساب القيم الجمالية^(٢) كما أن العقل الإبداعى يحوى كذلك العاطفة والوجدان والبصيرة.

اكتساب القيم الجمالية



شكل رقم ٣٢

أهم خصائص العقل الإبداعى

هناك أماكن لا يستطيع العقل الظاهرى إرتياده ولا يستطيع العقل الباطنى إحتواءه، فتبقى هذه الأماكن خالية وتلك الأشياء معلقة حتى يتمكن العقل الإبداعى إرتياده وإحتواءه، وذلك باستخراج الكوامن، والغوص فى أعماق الأشياء وإرتياد

(١). إرجع لهامش رقم ١، الصفحة الحالية.

(٢). أنظر الشكل رقم ٣٢، أهم خصائص العقل الإبداعى.

الآفاق، والبحث عن طبيعة الأشياء وإدراك المعانى القبلية والبعديّة، وإستبصار للمفاهيم المستغلقة.

ثلاثون خصيصة من خصائص العقل الإبداعي: (١)

١. احتوائه لخصائص العقلين "الظاهرى والباطنى".
٢. التحكم فى العقل الظاهرى، والسيطرة على العقل الباطنى.
٣. دفع الظاهرى للإدراك، وإستخراج المدركات من الباطن.
٤. تنظيم الاتصال والتناسق والربط بين العقلين.
٥. الاتجاه نحو الاكتشاف والابتكار والخلق.
٦. كشف دروب الترقى والسمو والاستعلاء.
٧. النزوع المستمر نحو الإبداع الفنى.
٨. توجيه النفس الإنسانية نحو الجمال والتطلع للكمال.
٩. الإحساس الجمالى والشعور الذوقى والإبداع الجمالى.
١٠. تحويل الإدراك الحسى والتذوقى إلى إدراك جمالى.
١١. إمتلاك القدرة الإبداعية.
١٢. إكساب القدرة الإدراكية للظاهرى والتذوقية للباطنى.
١٣. توجيه الأحاسيس والإنفعالات الوجدانية وضبطها.
١٤. إحتوائه للبصيرة، ويوجه الحدى نحو الإستبصار العقلى.
١٥. يحوى الحب والإيمان والخشوع.
١٦. يحوى العقل الفنى والعقل الإبداعي والعقل الجمالى.
١٧. الإحساس التأملى للوجدان.
١٨. تحريك المشاعر نحو الإلهام.

(١). هذه الخصائص مستوحاه من ثلاثة مضمين: ١. من مضمون الرسالة. ٢. مما وجدناه فى مراجع هذه الرسالة. ٣. ما رأيناه من إضافة.

١٩. تحقيق الغايات الواعية للغريزة وضبطها.
٢٠. توجيه واعى للعمليات العقلية والإبداعية.
٢١. إرتياد الأماكن التي يصعب على العقلين إرتيادها.
٢٢. إستخراج الكامن من الكائن.
٢٣. اكتساب القيم الجمالية من خلال الإدراك الجمالى والقدرة الإبداعية.
٢٤. التفاعل المتناسق بين الإدراكات "الحسية والحسية والجمالية".
٢٥. التآلف بين القدرات الإدراكية والتذوقية والإبداعية.
٢٦. الإحاطة الإدراكية بالأشياء وكشف خصيصتها.
٢٧. إعطاء السند العقلى للقيم الجمالية.
٢٨. إحتواؤه للقدرات القابلة والمستعدة للنمو.
٢٩. يحوى الخصائص العقلية والشعورية والوجدانية والإنفعالية والعاطفية.
٣٠. إيجاد الصلة بين الكون والحياة والإنسان والتوجيه للرحمن.

وبوجود هذا "العقل الإبداعى" يتمكن لعلم الجمال أن يستند إلى السند العقلى فى حل مشكلاته الفلسفية. وهذا العقل هو الذى يميز الإنسان عن باقى الكائنات، فهو "الأمانة" التى أبنت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها فحملها الإنسان. هذه الخصائص موجودة فى الإنسان إلا أن بعض منها كامن، وهى موجودة بنسب متفاوتة على حسب ما فطر فيه من قدرة، ومما إكتسبه من خبرة ومضامين اجتماعية وما اكتسبه من قيم.

٣. أدوار العقل الإبداعي

اتضح لنا دور العقل فى الإبداع الفنى من خلال الفصول الثمانية، ودوره فى المعارف الإنسانية، ودوره الخاص فى العملية الإبداعية. ومن خلال هذا المنطلق نجد أن العقل الإبداعي يتحقق ويبرز دوره فى الإبداع الفنى وذلك من خلال ثلاثة محاور^(١).

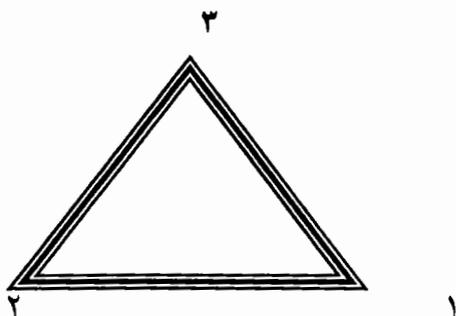
١. إحتواء العقل الإبداعي على خصائص جديدة.
 ٢. دوره فى منشأ وعلّة الإبداع وتخرجه فى أشكال إبداعية.
 ٣. محاولة لحل مشكلة الزمن فى الفنون التشكيلية^(٢) وإمكانية الفن التجريدى^(٣) فى كشف مواطن الجمال.
- أ. حل مشكلة الزمن فى الفن التشكيلى: ١. نحت .. ٢. عمارة .. ٣. تصوير.
- ب. إحتوائه على: ١. البصيرة والعاطفة والوجدان ... ٢. إدراك جمالى وقدره إبداعية .. ٣. خصائص العقل الإنسانى.
- ت. الإجابة على التساؤلات الثلاثة فى: ١. منشأ العمل الفنى .. ٢. علة الإبداع الفنى .. ٣. تخرج الإبداعات.

(١). أنظر الشكل رقم ٣٣ أدوار العقل الإبداعي الثلاثة.

(٢). إستقينا أغلب أمثلتنا الفنية من خلال الفن التشكيلى وهذا يرجع فقط لعامل التخصص، وما ينطبق على الفن التشكيلى ينطبق أغلبية بالضرورة على بقية أنواع الفنون الأخرى.

(٣). لا أقصد بالفن التجريدى المدرسة التجريدية الأوربية التى قامت بزعامة "كاندنسكى ومنديريان" فما أقصده هنا هو فن عام وتجريدى عام، تمكن الفنان والمتلقى من استخدام العقل فى الإبداع وإعادة الإبداع والتلقى والتذوق الفنى والإحساس الجمالى.

أدوار العقل الإبداعي الثلاثة



شكل رقم ٣٣

أولاً: يحتوى العقل الإبداعي البصيرة والعاطفة والوجدان مع الخصائص الثلاثة لاكتساب القيم الجمالية من إدراك جمالى وقدرة إبداعية ويأخذ العقل بكل كفاياته المعرفية وأخذ الإنسان بكل كياناته^(١) وما له من خصائص خاصة^(٢) لا تتوفر فى العقلين الظاهرى والباطنى.

ثانياً: نجد أن هناك تساؤلات لتحديد الإبداع الفنى عن علته ومنبعه وكيفية حدوث إبداعات وتحقيقه. وفى هذا الموضوع يتساءل د. على عبد المعطى فيقول: "أن أى تفسير لعملية الإبداع الفنى لكى يكون يجب أن يضع فى حسابه كل أركان عملية الإبداع، والتي تتكون فى رأينا من منبع الإبداع الفنى، وعلته، وكيفية حدوثه، وتحقيقه فى الواقع بواسطة عنصر الأداء أو التنفيذ، وبمعنى آخر إن أى تفسير كامل يجب أن يجيب على الأسئلة.

١. ما هو منبع الإبداع الفنى؟ ومن أين تأتى للفنان صور إبداعية؟

(١). راجع الفصول التالية: الفصل الرابع: العملية الإبداعية والتذوق الفنى والتجربة الجمالية.

٢. الفصل السادس: الإدراك الجمالى والقدرة الإبداعية. ٣. الفصل السابع: العقل والإبداع

الفنى.

(٢). راجع الفصل الثامن: فقرة ١-٢

٢. ما هي علة الإبداع؟ أي لماذا يبدع الفنان نفسه؟

٣. كيف تحدث عملية إبداع الفنى؟

٤. كيف تتخارج الإبداعات فى إبداع ملموس^(١).

ونحن بدورنا نوافق الدكتور على ما ذهب إليه فى تساؤلاته، وفى وضعه لهذه الفرضية، بأن أى إبداع يجب أن يوضع تفسيراً لهذه الأسئلة الأربعة. إلا أنزل نجمل هذه التساؤلات فى ثلاثة لكى نجيب عليها من خلال ما إفترضناه من عقل إبداعى بحيث يكون السؤال الأول: عن المنبع.. والسؤال الثانى: عن العلة.. والسؤال الثالث: عن الكيفية فى حدوث الإبداع وتخرجه فى شكل مبدع، إذ نرى أن حدوثها وتخرجها شيء واحد، لا يجب الفصل بينهما لأن الفن دائم التشكيل. وعليه سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات إنطلاقاً من النظرية العقلية وما أضفناه من عقل إبداعى، وقد رأينا كيف أخفقت هذه النظريات^(٢) إلى حد ما على الإجابة على هذه التساؤلات. ولنتبع الإجابة من خلال قدرات العقل الإبداعى فى فعل الإبداع وهذه الإجابات تقوى ما إفترضناه من عقل إبداعى.

أولاً: منبع الإبداع الفنى لا يأتى من قوى غيبية أو من خلال أساطير أو خرافة، وليس الإبداع من خلال عقل منغلِق أو عقل جمعى، وليس ناتجاً من لا وعى الإنسان أو من الجانب المظلم من العقل الإنسانى، أو من خلال كبت جنسى أو منحدر من الأسلاف^(٣).

ما نراه أن الإبداع الفنى نابع من الفنان نفسه فى توحده الدينامى والنامى والمتفاعل مع بيئته الداخلية والبيئة الخارجية ذات الأبعاد الاجتماعية والتاريخية والعقائدية. إن للإنسان نفساً تتفاعل وعقلاً مدركاً، حيث تتحول هذه الإدراكات إلى معانى إدراكية وصور جمالية، وذلك بتفاعل العقل الظاهرى والباطنى من خلال

(١). على عبد المعطى: مشكلة الإبداع الفنى، دار المعرفة الجامعية، ص—٢٢٤.

(٢). عُد للباب الأول عرض وتقييم لبعض نظريات الإبداع.

(٣). عد لإعتراضنا: نظرية الإلهام والنظرية السيكلوجية.

العقل الإبداعي، وفي تفاعل الإدراك والإحساس ما يحفز الفنان ليبدع وليحقق ذاته المنفعلة المدركة، حيث تتلاقح الإدراكات الحسية لتكتسب معاني جمالية جديدة تضاف للمعارف الباطنية فيعمل العقل الإبداعي لدفع الفنان للتفاعل ومن ثم الإبداع.

إن من منبع الإبداع الفنى من داخل الفنان ومن خلال عقله الفنى، الذى فطر به، ومما اكتسبه من أطر خارجية، ومن خلال تفاعلها استطاع الإنسان الفنان أن يطور عقله الفنى إلى عقل إبداعي، ومن ثم وظف هذا العقل وأعدّه ليكون منبعاً لإبداع ونبعاً للقيم الجمالية وذلك مما يجده فى نفسه وما وجده فيما حوله فى اتصال وتفاعله بالطبيعة الرحبة والكون الفسيح.

ثانياً: أما السؤال الثانى عن علة الإبداع الفنى، فالعلة موجودة فى الفنان نفسه كامنة فيه ليس كموناً فى العقل الباطنى فقط أو وجوداً فى العقل الظاهر فحسب، بل هو كائن فى كليهما يتخذ شكلاً خاصاً كل على حسب خصيصته. والعقل الإبداعي هو الذى يؤلف بينهما فيتكاملا من خلاله، وحينئذ ينفعل الفنان بمؤثر خارجى أو داخلى من خلال وعيه حيث تتكامل شخصيته مع البيئة الخارجية مع ما اكتسبه من خبرات ومضامين فنية. فتتفاعل كل هذه الكيانات مكونة علة الإبداع التى تدفع للإبداع، وذلك بترابط الكيانات الداخلية والممارسات الخارجية، فتتضافر العقول الفلية فى تضامنها مع الإحساسات المدركات، فتنتج معرفة جمالية حيث تتحول الخيالات والأحلام إلى تصورات جمالية مكونة علة وحافزاً للفنان ودافعاً له للإبداع الفنى.

ثالثاً: أما كيفية حدوث الإبداعات وتخرجها فى أشكال فنية، فهى تحدث من خلال قدرة الفنان الإبداعية وإملاكه لها، حيث يتم التفاعل بين العقليين "الظاهر والباطن" من خلال العقل الإبداعي الذى مكنه من اكتساب معارف وخبرات جمالية وإملاك لقدرة إدراكية وتدوقية وجمالية. يصل الفنان إلى توازن يمكنه من إحداث إبداع وذلك باستغراقه فى العملية الإبداعية لتحقيق الإبداع

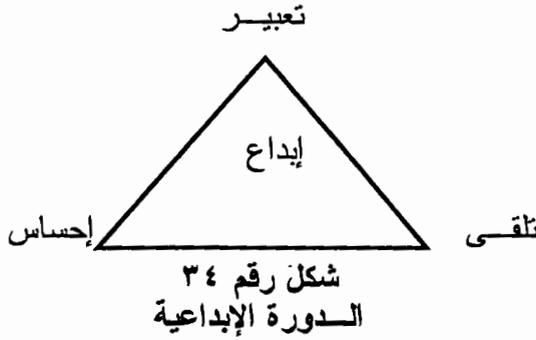
الفنى، عندما يكون داخل المساحة الإبداعية ليقوم بالأداء الفنى التنفيذى بالإبداع وإعادة الإبداع والتشكيل المستمر.

وهذا الجانب الأدائى أغلفته النظريات المفسرة لإبداع الفنى لما فيه من عمليات عقلية متضافرة تتطلب قدرًا كبيرًا من الوعى والإدراك، والإرادة والقصد والالتزام والحرية والتدريب والاكْتساب المستمر. وهذه العملية الإبداعية^(١) يقوم بها الفنان من خلال وعى وتعقل لما يفعله وإلا لما حقق أى إنجاز فنى، إذ يمر الفنان بمراحل عدة متداخلة من عمليات عقلية تتم داخل المساحة الإبداعية، فيبدع الفنان بما أكتسبه من خبرات ومقدرة إبداعية، حيث تتحقق الإبداعات فى شكل إبداع فنى وتتفاعل فيها عناصر داخلية وخارجية تمكن الفنان لإبداع والتعبير بما يمتلكه من أدوات فنية حيث يمتلك الفنان قدرة إبداعية تمكنه من إحداث إبداع فنى من خلال سيطرة العقل الإبداعى على العملية الإبداعية. وهكذا يمكن للعقل الإبداعى أن يجد حلًا لمشكلة هى من أعقد مشكلات علم الجمال، والتي تكمن فى المغالطة المنشئية وكيفية حدوث الإبداعات وتخرجها إبداعيًا.

وتحل هذه المشكلة إذا ما أخذنا الإبداع الفنى على أنه عمل من أعمال العقل الإنسانى، تتم من خلال العمليات العقلية بكل أبعادها الحسية والإنفعالية والإدراكية والعاطفية والإبداعية، فمن العقل نتخرج الأعمال الإبداعية وإليه تعود فى شكل إحساسات جمالية، وهكذا تتم الدورة الإبداعية^(٢) من عقل إلى عقل من خلال توجيهات العقل، وهكذا اتضح دور العقل الإبداعى فى الإبداع الفنى.

(١). عد للفصل الرابع، العملية الإبداعية.

(٢). أنظر الشكل ٣٤ الدورة الإبداعية.



بعد إجابتنا عن التساؤلات الثلاثة عن علة ومنبع حدوث الإبداع يمكن لنا توضيح المحور الثالث للعقل الإبداعي في محاولته لحل مشكلة الزمن في الفنون التشكيلية.

ثالثاً: الفن التشكيلي Visual Art^(١) لأى الفنون المرئية وهى صفة الأسلوب الذى يصور الأشكال فى بعدين أو ثلاثة^(٢). الفن التشكيلي بحكم مواده الجامدة من المكان ثابت أو ساكن ولهذا حاول الفنان أحداث حركة فى محاولته لحل مشكلة الزمن فى الفنون التشكيلية^(٣).

(١). نرى أن الكلمة المرادفة للفن التشكيلي هى Plastic Art إلا أننا نرى أن هذه الكلمة الإنجليزية قاصرة فى استيعاب معنى الفن التشكيلي وغير دقيقة فى تحديدها لهذا النوع من الفن، ولهذا نحن نأخذ بالكلمة المرادفة الثانية وهى Visual Art فهى أدق فى التعبير وأشمل فى المعنى.

(٢). أن نسترسل فى هذا الموضوع "الفن التشكيلي" بل سنكتفى بتسجيل ما يعيننا ويعيننا فى موضوعنا هذا.

(٣). فقد حاول الفنان التشكيلي عبر عصوره المختلفة حل مشكلة الزمن فى الفن التشكيلي فقد حاول الإنسان الأول "الشامان" أن يصور التسلسل الزمنى بتصوير مجموعة من الصور المتجاورة لمواقف متتالية، وقد قنع الناس بفكرة الإحياء بالزمن عن طريق الحركة الممتدة من خلال اللحظة الجمدة، كما قنع "فن الباروك" بالمغزى الدرامى وقد اقتنع "الرومانتيون" بالمغزى الشعورى للحركة. إلا أن الفنان المعاصر لم يعد يقنع بهذا، ولذا كان لايد من استخدام لغة فنية جديدة بمفردات جديدة وإن يكتشف لنفسه لغته التشكيلية الخاصة التى تستوعب الزمن فى حركتها الممتدة، وهو ما نطلق عليه بالإيقاع.

كل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية، وموسيقى الفنون التشكيلية مرئية لا صوتية ترى بالعين وهى الفنون المكانية، أما الفنون الزمانية كالشعر والدراما والموسيقى، فالموسيقى فيها مسموعة بالأذن، ومن خلال الموسيقى المرئية تتحول الفنون المكانية إلى زمانية وذلك بإدخال عنصر الزمان فى صميم البناء الفنى، وذلك عندما يكون الإيقاع من صميم المادة البنائية فيستحيل إلى موضوع إستاطيقى يتمتع بكيفية زمانية، وذلك بتحرر الفن التشكيلى من المكانية والسكونية وتكون له حركته الداخلية. وعندما يستحيل إلى ضرب من الموسيقى الإيقاعية حينما ينتقل الفن من دور الإبداع الأول إلى دور الإبداع الثانى وذلك بالإبداع وإعادة الإبداع. وهذه الموسيقى ترى من خلال العين الداخلية للإنسان وهى "البصيرة" وهذه الإيقاعات تسمع من خلال العقل الإبداعى، وللعقل الإبداعى عين داخلية بصيرة تسمع وتحس وتدرك وتقوم بكل الأنشطة الإبداعية.

والفنون المرئية بالرغم من أنها مكانية إلا أنها زمانية بحكم حركاتها الداخلية، وهو ما نعنيه بالحركة البصرية^(١). هذه الحركة المرئية هى ما نعنيها بالحركة البصرية المتولدة التى يدركها الذهن من خلال حركة الأشكال المتحركة داخليًا وذلك بتوليد الأشكال من خلال حركة الخطوط المتحركة فى تداخله المترابط أو فى تقاطعها المتداخل أو فى إنسيابها المتتابع، وتحدث هذه الحركة بتبادل الأضواء والظلال واتزان الكتلة الفراغ، وتفجر الألوان الداخلية^(٢) وهو ما

(١). الحركة البصرية هى الحركة اللاصوتية التى تنتج عن تولد الأشكال من بعضها، بإضافة شيء إلى شيء يولد ثالث، ونجد فى هذا التولد حركة ذاتية داخلية وهى حركة غير مسموعة بل هى مرئية بالعين حيث يكون التولد فى الألوان بمزج العين لونين يتولد عنهما لون ثالث، هو غير موجود مادياً ولكن موجود معنوياً من خلال تجاوز اللونين، تولد موسيقى معنوية غير ضوئية فهى مرئية، وكذلك التبادل بين الظلال والأضواء والتبادل بين الكتلة الفراغ تولد أشكالاً حركية وهو ما نعنيه بالحركة البصرية.

(٢). أنظر شكل رقم ٣٥، جدول الإيقاع الموسيقى للفنون التشكيلية "الموسيقى المرئية".

يمكن أن نطلق عليه بالبعد الرابع^(١) وهذا البعد لا يستوعبه العقل الظاهري لا العقل الباطني بل هو من إختصاصات العقل الإبداعي إذ يتمكن من خلال قدراته التأملية وأن يستوعب البعد الحركي.

فالزمن بالنسبة للفنان ممارسة عملية وليس فكرة نظرية فقط، فهو يواجه الزمن حينما يريد التعبير عن الفن ويحقق الإيقاع الموسيقي لفنه - كل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية- وللفنون التشكيلية موسيقاها الخاصة بها^(٢) فهي دائمة العزف، لأن الموسيقى الصوتية لا تسمع إلا عندما يعزفها عازف أو يستطعها ناطق أما الموسيقى اللاصوتية أي الموسيقى المرئية فهي كامنة في العمل الفني نفسه وهي دائمة العزف ما بقيت، وهي باقية ببقاء العمل الفني نفسه وليس ببقاء الفنان لها.

(١). للفنون التشكيلية أبعاد، بعدين في التصوير وثلاثة أبعاد في النحت، أما البعد الرابع فهو البعد الحركي، وهو البعد الذي نعنيه بالحركة المتولدة للأشكال ذات البعدين المسطحة أو ذات الأحجام وذلك من خلال الاتزان والإنسجام والإيقاع، فالبعد الرابع في الفن التشكيلي هو البعد الحركي، أي الحركة الناتجة عن حركية الأشكال المرئية والمتولدة عنها لتحقيق الزمنية في الفنون المكانية.

(٢). أنظر الشكل رقم ٣٥، الإيقاع الموسيقي للفنون التشكيلية.

شكل رقم ٣٥

الايقاع الموسيقى للفنون التشكيلية

م	التشكيل	الشكل الفني	اللون الموسيقى	نوع الايقاع	النغم الصادر
١	الزخرفة	تكرار متماثل	زخرفي	رتيب	مضطرد
٢	التلوين	تقعر الألوان الداخلية	لونى	متناغم	متولد
٣	العمارة	اتزان الكتلة والفراغ	هندسى	متبادل	متنوع
٤	الرسم	حركة الخطوط المناسبة	حركى	منسب	متوالى
٥	النحت	تبادل الظلال والأضواء	ضوئى	مرئى	متتالى

إذن الموسيقى الصادرة عن الفن التشكيلى هى موسيقى بصرية مرئية صادرة من خلال الأشكال من تكرار متماثل، وتقعر للاألوان الداخلية واتزان بين الكتلة والفراغ وحركية الخطوط المتحركة وتبادلية الظلال والأضواء فهى إذن موسيقى معنوية ترى من خلال العقل الإبداعى، وهكذا حاول العقل الإبداعى حل مشكلة الزمن فى الفنون التشكيلية وهى مشكلة كانت تؤرق الفنانين على مر عصور الفن المتعاقبة.

كل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية الصوتية أو المرئية لها معنيين معنى سلبي^(١) ومعنى إيجابى، فالمعنى السلبي هو:

١. إسقاط للإنفعالات.... ٢. عملية إنشراح.... ٣. لإيجاد توازن نفسى.

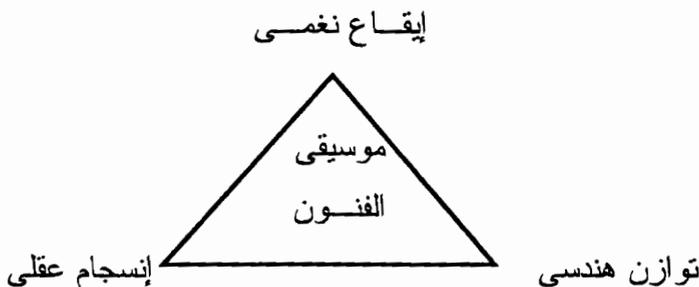
أما المعنى الإيجابى هو:

١. تنبيه الملكات الواعية فى الإنسان... ٢. كشف حقائق معنوية جديدة..

٣. إيقاظ العقل عن طريق الحواس.

(١). نعنى بالسلبية المعنى المباشر للموسيقى أو المفهوم الأولى لها.

والموسيقى "مسموعة- ومرئية" هي توازن زمنى لحركة التوافق والإنسجام، والموسيقى لا تقلد شيئاً أما باقى الفنون فهي تحاول إيجاد هذه الموسيقى فى كيانها الداخلى بالتوازن الهندسى والإنسجام العقلى لإيجاد إيقاع نفسى منسّق.



كل الفنون تهفو إلى حالة موسيقية

فمن خلال هذه المحاور الثلاثة تمكن العقل الإبداعى أى "العقل" من إبراز دوره فى المجال الإبداعى^(١) من منشأ الإبداع الفنى وحتى تخارجه فى أسكال إبداعية، حيث تستقبل الحواس الإدراكات مفصلة لكل حاسة إدراكها الخاص بها مع حدوثها فى لحظة واحدة أو متتالية، وكل الحواس تتضافر لتقوم بعملية الإبداع أو التلقى، حيث يتم تجميع الأشياء المفصلة والمتباعدة فى زمان ومكان معينين حيث يتم التحليل والتألف والتأليف.

مع علمنا بأن الحواس لا تؤلف إدراكاً وبالتالي لا تؤلف معرفة إلا أن القدرة العقلية هى التى تقوم بهذه المعرفة الإدراكية. وهى عبارة "كانط" التى يقول فيها "مبدأ الوحدة التركيبية للحدوث المفصلة المتباعدة"^(٢) أو بعبارة الفكر الواعى Apperception مستعارة من "ليبنتز" الذى كان يدل بها على ذلك العقل العلقى الذى ينطوى على نوع من الوعى الذاتى أو الشعور بالذات المفكرة فى

(١). أنظر الشكل رقم ٩، المجال الإبداعى.

(٢). محمود زيدان: كانط وفلسفته النقدية، دار المعارف، مصر، ص ١٥٠.

مجال إدراك الأشياء^(١) وعليه لكى يتم إدراك لايد من وجود ذات تدرك وتعى هذا الإدراك ويلزم أن يكون للذات وعى وإدراك من خلال تجربة تأملية. والعقل الإبداعي يدعو للتأمل، ونحن ندعو لفن تجريدى، لأن الفن التجريدى فيه دعوة للتأمل وإعمال الفكر فى المساحة الإبداعية والمسافة الفكرية، وللتجريد إحترام لعقلية المتلقى على عكس ما هو مفهوم لأن المتلقى يسلك أول الطريق لاستكشاف الجمال لرؤية جديدة إستخلصها واستخدمها من خلال تعامله الواعى مع العمل الفنى حيث يعيش المتلقى متأماً بفكره فى المواضيع الجمالية أى المعانى الجمالية الناتجة من العمل الفنى. فيتحول الفن من فن تقليدى يخاطب الماديات إلى فن تجريدى يعبر عن المطلق واللانهاية، ولكن داخل دائرة لا يفلت منها من ثلاثة قيود هى:

١. قيود الفن... ٢. المسافة الفكرية... ٣. ما يختزنه من خبرات جمالية.
- فالنزعة التجريدية أشمل فى دلالاتها، ودلالاتها باقية فى ذهن المتلقى، وداعية للتأمل والتفكير. وهذه هى مهمة الفن لإيقاظ النفوس لترى الجمال الذى هو فينا ومن حولنا، فيعمل بمقتضى هذا الجمال. إذن العقل الإبداعي هو الذى يوجه الفنان المبدع والمتلقى الإيجابى من خلال وسيط لسلوك الطريق الجمالى للإبداع الفنى.

(١). محمود زيدان: كانط وفلسفته النقدية، دار المعارف، مصر، ص ١٥١